الموارد المالية للدولة المغولية الايلخانية ٦٥٦-٧٣٦هـ/ ١٢٥٨-١٣٣٥م

أ. م. د. مصطفى هاشم عبد العزيز الحنون
جامعة الموصل – كلية الآداب

الملخص

تعد الموارد المالية من الموارد المهمة لأي دولة من الدول، لأنها تعد من أبرز المقومات الدولة الاقتصادية. وما يهمنا في هذا الموضوع هو الموارد المالية للدولة المغولية الايلخانية، تلك الموارد التي ورثتها الدولة الايلخانية من الحكومات السابقة ولاسيما الخلافة العباسية، تلك الموارد التي انقسمت الى عدة اقسام منها الضرائب والمصادرات والتلاعب بالعملة، فضلاً عن موارد أخرى، كما أن المغول لم يميزوا بين الموارد الشرعية وغير الشرعية حيث كان جل اهتمامهم هو الحصول على المزيد من الأموال بكافة الأساليب. وقد ركزنا في بحثنا هذا على ابرز الموارد المالية للدولة الايلخانية من ضرائب والتي اشتملت على أنواع عدة منها ضريبة الأرض او الخراج، وضريبة الرؤوس أو الجزية، ضريبة البيوت والعقارات، وضرائب الاسواق والتمغات والقبجور، او ضريبة المرعى وحصة الدولة من الاوقاف، اضافة الى ذلك استحدثت الدولة المغولية الايلخانية موارد مالية أخرى تمثلت في غش النقود ومصادرة الموظفين، واراضي المعارضين للحكم المغولي. وقد اتبعنا منهج تحليلي القائم على عرض النصوص وتحليلها وتتبع الاحداث التاريخية حسب السنين.

الكلمات المفتاحية: المغول، الضرائب، الايلخانيين، الموارد، الاقتصاد.

Al Malweah for Archaeological and Historical Studies, Vol 8, Issue 26, Nov 2021
P-ISSN: 2413-1326 \ E-ISSN: 2708-602X

Financial Resources of the Mongl-Ilkhanid State

A.H. 1258-1335/ A.D. 656-736

Mustafa Hashem Abdel Aziz Al-Hanoun
University of Mosul- College of Arts

mustafa.h.a@uomosul.edu.iq

Abstract

Financial resources are an important resource for any country, because it is considered one of the most important components of an economic state. What interests us in this matter is the financial resources of the Ilkhanid Mongol state. Those resources that the Ilkhanid state inherited from previous governments, especially the Abbasid Caliphate, that were divided into several parts, including taxes. Confiscations and currency manipulation, in addition to other resources, Moreover, the Mongols did not distinguish between resources. Whether legal or illegal, as their main interest was to obtain more money by all means. We focused in our research on the most prominent financial resources of the Ilkhanate state from taxes, which included several types, including land or tax tax, capital or tribute tax, home and real estate tax, market taxes, stamps and graves, or pasture tax and the state's share of endowments. The Mongolian Ilkhanate state has other financial resources represented in fraudulent money and confiscation of employees and lands of opponents of Mongol rule. We followed an analytical approach based on presenting and analyzing texts and tracking historical events according to the years.

Keywords: Mongols, Taxation, Ilkhanids, Resources, Economy.

المقدمة

ظهر المغول على الساحة السياسية بقيادة زعيمهم جنكيز خان، الذي تمكن بعد انتصاره على باقي قبائل المغول الاخرى من الاستيلاء على الحكم المغولي بلا منازع، وبعد هذا الانتصار دانت بقية القبائل المغولية لزعامته بجهود سياسية وحربية وفي عام (٦٠٣هـ/١٢٠٦م) دعا جنكيز خان القبائل الى اجتماع عام القوريلتاي (المجلس الاعلى للامراء) وتقرر فيه عدة قرارات كان من شأنها تنظيم علاقات المغول مع بعضهم الآخر وأحل الياسا (الدستور) محل الاعراف القبلية.

توفي جنكيز خان عام (٦٢٤هـ/١٢٢٦م) فاعقبه في الحكم منكو بن تولي بن جنكيز خان عام (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) وفي عهده وضع المغول خطتهم لاحتلال العراق واسقاط الخلافة العباسية واوكلوا مهمة تنفيذها الى أخيه هولاكو الذي زحف الى بغداد وتمكن من احتلالها عام (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) وباحتلال بغداد وباقي المدن العراقية فقد العراق استقلاله السياسي والاقتصادي واصبح جزء من امبراطورية واسعة عرفت بالدولة الايلخانية.

لقد كان لهؤلاء الايلخانيين نظمهم السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية، وما يمهنا في هذا الموضوع نظمهم الاقتصادية وما تعرضت له هذه الدولة من ازمات اقتصادية حدث اغلبها نتيجة التدمير والخراب الذي احدثته القوات المغولية عند سيطرتهم على تلك المناطق، فتعرضت الدولة الايلخانية الى العديد من الازمات الاقتصادية كان على راسيها ازمة نقص الاموال في خزينة الدولة مما اضطرهم الى ابتكار اساليب جديدة في جمع الاموال فلجأوا الى الضرائب وغيرها من الموارد المالية.

لذلك اولى المغول اهتماما بالغاً بالضرائب لما لها من أثر بارز في تنمية الموارد المالية للدولة، وكذلك اهتموا بطرق جبايتها وقد عد المغول كل انواع الضرائب التي كان معمولا بها في السابق مورداً مالياً، وأضافوا من عندهم ضرائب اخرى عندما تشتد بهم الحاجة الى المال فضلا عن ذلك عمل المغول الايلخانيين على استحداث موارد مالية للدولة وذلك عن طريق مصادرة اموال واراضي الاشخاص المعارضين للحكم ناهيك عن الغنائم والاسلاب.

تناول البحث اهم الموارد المالية للدولة الايلخانية التي مثلتها الضرائب بالدرجة الاولى على اختلاف انواعها فضلا عن حصة الدولة من الاوقاف والمصادرات واخيرا التلاعب بالعملة كما تضمن البحث طرق جباية الموارد المالية وقد اتبع الايلخانيون اساليب الجباية المشاعة في العهود السابقة الا وهي الاقطاع والضمان والجباية المباشرة التي الحقت بالناس الظلم الكثير وتضمنت الخاتمة أهم النتائج التي توصل اليها البحث.

أولاً- الضرائب:

أما ضرائب العصر الايلخاني فأنها كانت استمراراً للضرائب العباسية حتى اننا لا نجد ضريبة ايلخانية إلا ولها سابقة في عهد ما من العهود العباسية، ولكن الضرائب الايلخانية كانت أكثر ثقلاً وخضوعاً لأهواء الحكام وجشعهم الذي لم يعد له حدود، وقد وردتنا أكثر الضرائب الايلخانية تحت الاسماء الآتية: ضريبة الارض او الخراج، ضريبة الرؤوس ,وضريبة البيوت والعقارات ,وضرائب الاسواق والتمغات والقبجور , او ضريبة المراعي ,وحصة الديوان من الاوقاف وما كانت تفرض اقامتهم عليهم احياناً [١].

١- ضريبة الخراج

الخراج: هو ما وضع على رقاب الارض من حقوق تؤدي عنها وفيه من نص الكتاب بينة خالفت نص الجزية فلذلك كان موقوفاً على اجتهاد الأئمة [٢], وقد كان يؤخذ من الجزء الأكبر من اراضي السواد، وكان الخراج يؤخذ نقداً وعلى المساحة التي زرعت ام لم تزرع حسب ألاسس التي وضعها الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) [٣] وفي أحيان أخرى كانت تجبى بصورة عينية، ولم تكن قيمة الخراج تدفع بنسب موحدة في جميع الولايات [٤].

وعندما ورثها المغول ابتعدت كثيراً عن اصولها الشرعية، اذ أن المتغلبين على الخلافة، وحتى الخلفاء أنفسهم تلاعبوا بنسبها وأقسامها [٥] ,كلما احتاجوا إلى مزيد من الأموال حتى ألف الناس الزيادة فيها، من ذلك ما نقله المؤرخ ابن الاثير أن مدينة بعقوبة اصبحت تدفع في عهد الخليفة العباسي الناصر لدين الله [٦] ثمانين الف دينار بينما كان خراجها عشرة الآف فقط [٧] وتسلم المغول هذه الصورة من الضرائب وعدوها اساساً لعلاقتهم مع المحكومين ونسجوا على منوالها، وليس لدينا معلومات واضحة عن المدى الذي اندفع فيه الحاكمون الى التلاعب فيها الا أن المغول ابقوا هذه الضريبة كما هي مع ملاحظة نوع الارض المفروضة عليها [٨].

الا أن الايلخانات كانوا يعملون دائماً على التخفيف عن الرعية والاحسان اليها وازالة الاثقال عنها في كل مناسبة, مما دل على استقرار التلاعب بها، من ذلك ما قام به الايلخان ابآقا(٦٦٣-٦٨٠هـ/١٢٦٤-١٢٨١م) عند زيارته بغداد عام (٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م) حيث أمر بالإحسان الى الرعية، وحذف الاثقال عنهم، وأمر بكتابة ذلك على حيطان باب جامع المستنصرية، كذلك فعل الايلخان كيخاتو حيث عين الايلخان سنة (٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م) نائبه شمس الدين محمد التركستاين المعروف بالسكورجي والياً على العراق وأمره أن يزيل عن الناس ما جدد عليهم من الضرائب الخراجية، فلما دخل بغداد اظهر العدل والاحسان وحسن النظر في أحوال الناس كما وعد الناس بأشياء يخاطب فيها الايلخان ويعتمدها معهم [٩] كما أمر الايلخان

غازان (٦٩٤-٧٠٣هـ/ ١٢٩٤-١٣٠٣م) بأن تمسح الاراضي الزراعية معظمها من جديد وأن تتخذ ذلك اساساً في فرض ضريبة الخراج. فقد كانت الضرائب تفرض سابقاً، وفقاً لأهواء الحكام من المغول وعمالهم من الفرس [١٠]، وأيضاً أمر الايلخان غازان بتعليق البيانات الخاصة بالضرائب عند مداخل القرى أو في المساجد ومعابد اليهود والنصارى, وكذلك البدو والرحل في مراعيهم وذلك عن طريق النقش على الخشب او الحجارة او المعدن او الألواح المكتوبة [١١] من اجل اطلاع الناس عليها.

وكان الخراج يستوفي نقداً من الناس، على العكس مما كان عليه استيفاؤه في العصر العباسي الذي رخص للناس دفعه نقداً او عيناً، وذلك أن الايلخان غازان استجاب لشكوى الناس من الزامهم بالخراج ذهباً احمراً، الأمر الذي أضر بهم، فأمر بأجرائهم على عادتهم منذ أن احتلت بغداد [١٢].

وقد ظلت ضريبة الخراج احدى الضرائب الاساسية للدولة المغولية الايلخانية، ولكن المصادر لم تذكر مقدار موارد الديوان من هذه الضريبة، ولكن قلة مساحة الاراض المزروعة دلت على انها كانت قليلة [١٣].

٢- ضريبة الجزية:

وتسمى ضريبة الرؤوس أو الجزية التي كانت تفرض على أهل الذمة فقط أيام العباسيين لكنها اصبحت تشمل الجميع دون تمييز بعد دخول العراق ضمن الدولة الايلخانية.

حيث فرض هولاكو هذه الضريبة، ولم يميز بين المسلمين وأهل الذمة، فقد أمر سنة (٦٥٧هـ/ ١٢٥٨م) بجمع أهل بغداد وتقرير ما يؤديه كل منهم في كل سنة على قدر حاله ما عدا الشيخ الكبير ومن هو غير بالغ [١٤].

ودفع السكان الجزية مرة واحدة على الأكثر، الا أن تولى حكم العراق الصاحب علاء الدين ملك الجويني فأسقطها عنهم [١٥], وكان أول تطبيق شرعي لضريبة الجزية في عهد الايلخان أحمد تكودار (٦٨٠-٦٨٣هـ/١٢٨١-١٢٨٤م) – أول الايلخانات المسلمين الذي فرضها على أهل الذمة، ثم احسن الملك إلى النصرانية، فأصدر امر باستثناء الكنائس والاديرة والقسوس والرهبان من دفع الجزية والتكاليف الاميرية [١٦].

ومما يشير الى استمرار ضريبة الجزية أنه في سنة (٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م) قام وزير الايلخان كيخاتو (٦٩٠-٦٩٤هـ/ ١٢٩١-١٢٩٥م) صدر الدين الخالدي بإرسال أخيه زين الدين محمد الخالدي الى بغداد ليتولى منصب الوقوف والوكالات والتركات والمقاطعات والجوالي [١٧].

واستقرت ضريبة الجزية في عهد الايلخان غازان الذي جعل من الاسلام ديناً رسمياً للدولة، وأمر أن ينادي بين الناس بضرورة اعتناقه وتطبيق احكامه، ولاحق المجوس والمشمسة[١٨] والمثونية [١٩]، وفرضت الجزية في عهد الايلخان غازان على اليهود وعاملهم باحتقار، كما شدد في معاملة اهل الذمة والزمهم بلبس الغيار [٢٠].

أما في عهد الايلخان اولجايتو (٧٠٣-٧١٦هـ/ ١٣٠٤-١٣١٦م) حيث كان يتواجد في البلاط اعداداً من اليهود الذين دخلوا البلاط في ايام الوزير اليهودي سعد الدولة، واغلب الظن انهم كانوا يتمتعون بحماية ودعم رشيد الدين فضل الله، لكن على الرغم من كل هذا لم يتمكن هؤلاء من تحسين وضع ابناء ديانتهم، فقد الزم اولجايتو اليهود دفع الجزية وارتداء الزنار ليتميزوا به عن الآخرين[٢١].

كما سار على منهاجه ابنه الايلخان أبو سعيد (٧١٦-٧٣٦هـ/ ١٣١٦-١٣٣٥م) الذي حافظ على هذه السياسة وصدر في عهده مرسومان في ملاحقة أهل الذمة وتطبيق أحكام الشريعة عليهم حتى اضطر الكثير منهم على اعتناق الاسلام تخلصاً من هذه المضايقات [٢٢].

لقد كانت ضريبة الخراج والجزية من أهم الموارد التي اعتمدت عليها الدولة في زمن الخلافة ومن ثم الدولة الايلخانية، لاسيما ضريبة الخراج.

٣- ضرائب التجارة او التمغا او الطمغا (الدمغة):

وهي من الضرائب التي شاعت في العراق أيام الدولة الايلخانية، ويقصد بها الضرائب التي تؤخذ من أموال التجارة، وسميت بذلك لأنها كانت توضع على الأموال سمة يقال لها عندهم (تمغا) [٢٣] وذكر بعض مؤرخي المغول، انها كانت تؤخذ من أهل المال والتجارة من اهل المال (رأس المال) بنسبة دينار واحد من كل مائتين واربعين دينار، وكان يقال لها طمغا وبعد زمان جنكيز خان اشتهرت بالتمغا [٢٤] وصارت التمغاوات في العهود التالية للايلخانين تشمل جميع الضرائب التي لم يرد ذكرها في القرآن الكريم، والتي كانت تؤخذ من أهل المدينة ومن السلع المجلوبة اليها، وكان يطلق عليها اسم تمغا المدينة [٢٥], وكانت ضريبة التمغا او الطمغا تشكل عبئاً ثقيلاً على الرعايا، وقد تسببت في عدم تقدم التجارة والصناعة في المدن، كما قام أغلب الناس بالتهرب من دفعها للدولة [٢٦] ولإحياء الحركة في المدينة قام الايلخان المغولي ابآقا بن هولاكو سنة (٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م) عند وروده مدينة بغداد بإصدار امر تم بموجبه بالإحسان الى الرعية وتخفيف ضريبة التمغات، كما امر بتدوين ذلك على جدران باب جامع المستنصرية [٢٧].

كذلك فعل الايلخان غازان (٦٩٤-٧٠٣هـ/ ١٢٩٥-١٣١٤م) حيث قام بتخفيض مبلغ التمغة الى النصف في بعض الولايات مثل أصفهان [٢٨] والغاءه تماماً في بعض الولايات الأخرى مثل خوزستان [٢٩] ولكن بعد المغول ظلت ضريبة التمغة تجبى مرة أخرى [٣٠].

٤- ضريبة القبجور

كلمة القبجور مغولية بمعنى مرج او مرعى وهي ضريبة مفروضة على القطيع حيث تؤخذ رأس من كل مائة رأس [٣١], ومن ليس له مائه لا يؤخذ منه شيء [٣٢] ,وكانت القبجور تجبى في اول الامر من ساكن الصحراء على المراعي والماشية، فكان الجباة يجوبون الصحاري ويطوفون بالقرى قرية قرية، ويشرعون في عد المواشي، ويأخذون رأساً من الماشية على كل مائة رأس من الأبل والخيل والابقار والحمير والاغنام، فاذا كان عدد الماشية أقل من المائة تم اعفاء صاحبها[٣٣].

ولما رأى الحكام الايلخانين أن دخل هذه الضريبة غير كاف لسد احتياجاتهم، فأنهم لم يتوقفوا عند حد فرضها على ساكني الصحراء وحدهم، بل اتسع مفهوم هذه الضريبة ليتم جبايتها من ساكني المدن كذلك، وأن كانت تجبى بنفس الاسم، الا أنها كانت تجبى في صورة نقدية، وكانت هذه الضريبة تجبى عدة مرات في السنة ربما يصل الى عشرين او ثلاثين مرة بحجة أن الضرائب المحصلة لم تكن كافية [٣٤].

أن التعددية في أنواع الضرائب المفروضة على أهل العراق آبان الحكم الايلخاني أدى الى حدوث ازمات مالية متكررة بسبب قلة الاموال وثقل الضرائب وتردي ألاوضاع الأمر الذي جعل البلاد تعيش في حالات من التخبط الاقتصادي في ظل تفاقم المشاكل الاقتصادية التي عجزت حتى الضرائب على كثرتها وتنوعها من ايجاد الحلول المناسبة لها [٣٥].

٥- ضريبة العقار

فرضت الدولة الايلخانية ضريبة العقار او الأملاك، في العراق حيث قامت الدولة الايلخانية في سنة (٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م) في اصدار أمر ألى والي العراق عطا ملك الجويني بإحصاء الدور في بغداد ومطالبة مالكيها بالأجرة عنها لمدة شهرين [٣٦] وتسمع في اخبار نفس السنة بضريبة على المبيعات باسم المؤونة حيث باع أهل السواد كارة من الدخن بدرهم فطولب بالمؤونة عنها درهمين فأنهزم وتركه [٣٧].

٦- ضريبة الأرث:

وهي الضرائب التي تحصل عليها الدولة من وراثة المتوفي الذي لا وارث له، فضلاً عن ذلك وجدت الضريبة على التركات التي فرضها الايلخانيون منذ استيلائهم على بغداد، والدليل

على وجود نوع من هذه الضرائب، وذلك عندما سيطر هولاكو على مدينة بغداد، وجدت ضرائب الارث تؤخذ في تلك المنطقة بأجمعها، ولكنه قام بإلغائها [٣٨].

كما انشأت الدولة الايلخانية لذلك الغرض ديوان التركات [٣٩] الذي يتولى محاسبة الورثة واقتطاع حصة الدولة منها [٤٠]، ويظهر أن الدولة الايلخانية كانت تلجأ في بعض الاحيان ولاسيما في ايام ازماتها المالية الى اعطاء مسؤولية التركات لغير المسلمين ليكونوا اقدر على حرمان الورثة من حقوقهم كما فعلت في سنة (٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م) حين عينت يهوداً من تفليس[٤١] على تركات المسلمين في بغداد فأجروا الأمر على ان لا يورثوا ذوي الارحام وذلك بإنكار او عدم الاعتراف بأي صلة نسب بين المتوفى وادعياء ورثته ليكون في امكانهم الاستيلاء على التركة بأجمعها لحساب الدولة [٤٢].

٧- ضريبة المساعدات الاجبارية:

لم تكتفي الدولة الايلخانية من الضرائب السابقة التي فرضوها على الناس، على الرغم بما تدره من أموال طائلة لهم، فأضافوا اليها ضرائب أخرى من قبلهم، خفف من ثقلها على الناس انها كانت مؤقتة تفرض عند تعرض الدولة الايلخانية للازمات المالية [٤٣].

من ذلك ضريبة المساعدات الاجبارية، وذلك ما حدث فعلاً سنة (٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م) أذ قام علاء الدين صاحب الديوان باستيفاء خمسين الف دينار من مدينة بغداد وأعمالها على وجه المساعدة، فشرع في استيفاء المبالغ من الناس بالعسف والقوة والقهر [٤٤] وتكررت هذه الضريبة في سنة (٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م) حيث قام جمال الدين الدستجراني، بجمع الأموال الديوانية، وقام بتكليف أرباب الأموال من أهل بغداد والتجار وغيرهم شيئاً على وجه المساعدة، ثم قام بجمع الأموال وقدمها الى الايلخان بايدو[٤٥] الذي كافئه وعينه وزيراً [٤٦].

وكذلك فعل نوروز [٤٧] سنة (٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م) عندما تولى العرش الأيلخان غازان سنة (٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م) فقد كانت الخزينة خاوية والجيش بحاجة الى الأموال لدفع الخطر الذي كان يتهدد خراسان [٤٨] ,فقرر أن يقدم جميع القادرين على امداد الجيش بالأموال والحيوانات [٤٩].

٨- حصة الدولة من الأوقاف:

وكان للدولة الايلخانية نصيب من الوقوف، وكان مقدارها عُشر مستغلات الأوقاف، أذ كان قاضي القضاة يأخذ عُشر حاصلات ألاوقاف في كل سنة، وله نواب ومعتمدون في كل بلد يأخذوها بالنيابة عنه [٥٠].

وكان قد تولى الاشراف على ألاوقاف في العراق نصير الدين الطوسي وابناؤه من بعده، وكان لهم في كل بلد نائب يشرف عليها ويحمل عشر وارداتها اليه لكي ينفقها على المعلمين

والمتعلمين [٥١], الا أن في بعض ألاحيان كانت الدولة تستغني عن أخذ حصتها من الوقوف مساعدة منها لأحوال المنتفعين بالوقوف كما حصل ذلك سنة (٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م) حيث حذفت الحصة الديوانية من الوقوف ووفرت على اربابها [٥٢].

٩- المصادرات:

أصبحت المصادرات شبه دائمية، أذ شكلت دخلاً لا بأس به في ميزانية الدولة، إذ عمدت الدولة الايلخانية إلى مصادرة أملاك وأموال موظفي الدولة بمختلف درجاتهم واختصاصاتهم، وكانت كثيرة الوقوع وغير محدودة في كميتها وصلت أحياناً الى حد الاستيلاء على كل ما يملكه الموظف وتعريض حياته نفسها الى خطر وكانت تصادر من الوالي او الحاكم مباشرة[٥٣], والسعيد منهم من ينجو برأسه بعد المصادرة التي اصبحت تشكل دخلاً لا بأس به في ميزانية الدولة، من ذلك أن عطا ملك الجويني تعهد عند اعتقاله بدفع مبلغ ثلاثمائة تومان [٥٤] ثمن حياته، ثم لم ينج بعدها، وكذلك كان غيره من العمال والموظفين[٥٥].

١٠- التلاعب بالعملة:

مثلت هذه الموارد، بتلاعب الحكومة بالنقود، وذلك بإصدارها عملات قلت فيها نسبة المعادن الثمينة، أو فرضها دفع ضرائب بعملة معينة، كما فعل، وزير الايلخان غازان عندما فرض على الناس دفع الخراج بالذهب الأحمر [٥٦] كذلك لجأت الدولة الايلخانية الى اصدار عملة ورقية لا قيمة لها، وفرض تعاملها بين الناس وذلك من أجل سحب النقود من السوق [٥٧].

ثانياً: طرق جباية الموارد المالية:

اتبع الايلخانيون أساليب الجباية التي شاعت في العهود السابقة وهي الاقطاع والضمان والجباية المباشرة، وكانت الضرائب الغير ثابتة مثل الزكاة والجزية وموارد الأوقاف والقبجور تجبى مباشرة من قبل الموظفين الحكوميين (العمال) أو رجال الدين من الشيوخ والقضاة عن طريق الامانة او الوديعة [٥٨]، أما الضرائب الثابتة والتي يمكن تحديد مقدارها سلفاً مثل الخراج والتمغا فكانت تجبى عن طريق الاقطاع او الضمان.

من أكثر الطرق التي اتبعتها الدولة في الجباية هو اسلوب الضمان، فالضمان كان يتم بتعهد أحد الناس تقديم مبلغ معين للحكومات عن منطقة من المناطق مقابل جبايته ضرائبها لنفسه [٥٩].

وقليلاً ما اتبعت الدولة طريقة الجباية بواسطة الاقطاع، الا لتحقيق بعض الاغراض السياسية، كما فعلت مع بعض اللاجئين إليها من زعماء القبائل العربية الفارين من الشام فكانت تقطعهم ضرائب بعض المناطق او المدن لتغريهم بالبقاء والوقوف بجانبها في صراعها مع الدولة

المملوكية، مثال على ذلك ما فعله هولاكو حيث أقطع لزامل بن علي[٦٠] الذي وفد عليه فأعطاه اقطاعاً بالعراق [٦١].

أما الجباية المباشرة فهي أن يكون للحكومة موظفون مربوطون بها يقومون بجباية الضرائب طبقاً لأوامرها [٦٢].

كانت هذه أبزر طرق جباية الموارد المالية للدولة الايلخانية، بينما نجد أن الكثير من حكام العراق يجمعون الأموال لأنفسهم حتى بلغت مقادير كبيرة يحجبون الكثير منها عن خزينة الدولة حتى نجد آخرين يعجزون عن دفع ما هو مقرر عليهم لثقله، وكان المسؤولون عن الجباية مضطرين الى سلوك هذه الاساليب في الجباية لأنهم أن لم يوفوا ما عليهم من التزام، سوف يعاملون بمثل ما يعاملون الناس به، لذلك فقد كانوا يتوقون هذا اليوم بالاستزادة من الجمع واتباع كانه الاساليب التي تحقق لهم ذلك ما دامت الدولة لا تحاسبهم على ما يحدث لديهم، بقدر ما تحاسبهم على مقدار ما يقدمون من أموال، ولكنهم بالرغم من كل ذلك لم يخلصوا من العذاب، اذ قلما نجو منه ما دامت مطالب الايلخانات ليس لها حدود[٦٣].

الخاتمة

١. أن أهمية الموارد المالية التي عملت بها الدولة المغولية الايلخانية ، تكمن فيما عكسته من نتائج سلبية توضحت من خلال الظلم الذي وقع على الرعية، مثلت ذلك من خلال الضرائب التي فرضتها الدولة على السكان حيث لم تكن تفرق بين الضرائب الشرعية وغير الشرعية .

٢. تنوعت اساليب جمع الاموال في الدولة الايلخانية بغض النظر عما يقع على الناس من ضرر وكانت الضرائب الاجبارية دليلا واضحا على ذلك.

٣. كان جل اهتمامها هو الحصول على أكبر قدر ممكن من الأموال، على الرغم من أن بعض ايلخانات المغول كان يعملون بين مدة وأخرى على اصدار فرمانات او قرارات كان من شأنها التخفيف عن كاهل السكان.

٤. كانت الدولة المغولية الايلخانية قد لجأت الى فرض العديد من الضرائب الجائرة على السكان المحليين والتجار كان من شأنها أن شلت الحركة الاقتصادية في معظم انحاء البلاد، كما اتبعت الدولة الايلخانية اساليب جباية تعسفية مثلت في ثلاثة أنواع الا وهي الجباية بأسلوب الاقطاع او الضمان او الجباية المباشرة، حيث الحقت هكذا أنواع من الجباية الأذى الكبير للسكان أذ سببت لهم خسارة لأغلب مواردهم المالية.

٥. لم تبتعد الدولة الايلخانية عن الدول الاخرى في مسألة التلاعب بالعملة فقد مارس هذه اللعبة الساسانيين والبيزنطيين ايضا.

٦. أن الموارد المالية للدولة المغولية الايلخانية قد ورثوها عن الحكومات السابقة وخاصة الخلافة العباسية الا إن المغول لم يكن من طبعهم أن يميزوا بين الشرعية وغيرها ما دام ذلك يوفر لهم المزيد من الأموال، فقد اعتبروا كل أنواع الموارد المالية التي كانت معمولاً بها في السابق مصدراً يهتدي به واضافوا من عندهم موارد أخرى.

جدول باسماء الايلخانات في الدولة المغولية الايلخانية (٦٤)

١	هولاكو بن تولوي بن جنكيز خان	٦٥٧-٦٣٣م/ ١٢٥٨-١٢٦٤م
٢	اباق خان بن هولاكو	٦٦٣-٦٨٠هـ/ ١٢٦٤-١٢٨١م
٣	أحمد تكوداربن هولاكو	٦٨٠-٦٨٣هـ/ ١٢٨١-١٢٨٤م
٤	أرغون بن أباقا خان	٦٨٣-٦٩٠هـ/ ١٢٨٤-١٢٩١م
٥	كيخاتو بن أباقا خان	٦٩٠-٦٩٤هـ/ ١٢٩١-١٢٩٤م
٦	غازان خان بن أرغون	٦٩٤-٧٠٣هـ/ ١٢٩٤-١٣٠١م
٧	أولجايتو (خدابنده) بن أرغون	٧٠٣-٧١٦هـ/ ١٣٠٣-١٣١٦م
٨	أبو سعيد بهادر خان بن أولجايتو	٧١٦-٧٣٦هـ/ ١٣١٦-١٣٣٥م
٩	أرباخان أرتو بوقا بن تولوي	٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م
١٠	موسى خان	٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م

الهوامش

References

(١) خصباك، جعفر حسين: العراق في عهد المغول الايلخانين ٦٥٦-٧٣٦-١٢٥٨-١٣٣٥م الادارة. الأحوال الاقتصادية، الأحوال الاجتماعية، مطبعة العاني، (بغداد، ١٩٦٨)، ص ١١١.

(٢) الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م: الاحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، ط١، مكتبة دار ابن قتيبة، (الكويت، ١٩٨٩)، ص ١١٧.

(٣) الدوري، عبدالعزيز: النظم الاسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، ٢٠٠٨)، ص ١٤٠.

(٤) حلقها، أمل محمد: من تاريخ المغول الازمات الاقتصادية في عصر الدولة الايلخانية، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط٢١، (مصر، ٢٠١٦)، ص ١١٠.

(٥)القزاز، محمد صالح داؤود: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء، (النجف، ١٩٧٠)، ص ٢٥٢.

(٦) الخليفة الناصر لدين الله: وهو ابو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله الحسن بن المستنجد، الملقب بالناصر لدين الله وقد بويع الخلافة بعد ابيه المستضيء، في مستهل ذو القعدة سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م وقام بأخذ البيعة له ذو الرياستين، وكان اشقر اللحية؛ حسن الشكل جميل المنظر. للمزيد ينظر: العجمي، عبدالله معيض، الخليفة العباسي الناصر لدين الله العباسي وسياسته من خلال المصادر التاريخية والدراسات الحديثة (٥٧٥-٦٢٢هـ/ ١١٨٠-١٢٢٥م)، رسالة ماجستير، (غير منشورة)، مقدمة الى عمادة كلية الآداب، جامعة آل البيت، ٢٠١٧م، ص ١، ٢.

(٧) الكامل في التاريخ، (د. م، د. ت)، ج١٢، ص ٤٤١؛ القزاز: الحياة السياسية في العراق، ص ٢٥٤.

(٨) القزاز: الحياة السياسية في العراق، ص ٢٥٤.

(٩) ابن الفوطي، كمال الدين ابي الفضل ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٣)، ص ٣٢٤.

(١٠) بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الاسلامية، نقلة الى العربية، نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٨٨)، ط٢، ص ٢٧٤.

(١١) طقوش محمد سهيل: تاريخ المغول العظام والايلخانين، دار النفائس، ط١، (بيروت، ٢٠٠٧)، ص ٢٩٠.

(١٢) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٣٣٣.

(١٣) العاني، نوري عبدالحميد: العراق في العهد الجلائري (٧٣٨-٨١٤هـ/ ١٣٣-١٤١١م) دراسة في اوضاعه الادارية والاقتصادية، ط١، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٨٦)، ص ٣١١.

(١٤) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص ٢٤٣؛ خصباك: العراق في عهد المغول الايلخانيين، ص ١١٢.

(١٥) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص ٢٤٣؛ القزاز: الحياة السياسية في العراق، ص ٢٥٧.

(١٦) الصائغ، سليمان: تاريخ الموصل، الطبقة السلفية، (مصر، ١٩٢٣)، ج١، ص ٢٤١.

(١٧) الجوالي: وهو ديوان مستحدث يكون تحت اشراف ديوان الخراج، ومن لوازم صاحب هذا الديوان معرفة الحساب والضرب والقسمة والامانة والعدالة ليأخذ الحق ولا يجحف ولا يضيع. للمزيد: الدوري: النظم الاسلامية، ص ١٧٨، ١٧٩.

(١٨) المشمسة: لم أعثر على ترجمة لها في المصادر.

(١٩) المثنوية: هي النظرة الفلسفية التي ترى ان هناك وجود لمصطلحين اساسيين، غالبا ما يكونا متعاكسين مثل الخير والشر والنور والظلام، الذكر والانثى، وهذان الاصلان قديمان سميعان بصيران همان متضادان في النفس والصورة، والعقل والتدبير، وما يصدر عن الانسان من خير فمصدره إله الخير، وما يصدر من شر فمصدره إله الشر. ينظر: الجبوري، سعدي محمد علي كصبان: الحياة الدينية في المشرق الاسلامي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، دراسة تاريخية، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، مقدمة الى عمادة كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠١٣، ص ٣٦٩.

(٢٠) الهمذاني: رشيد الدين فضل الله ت ٧١٨هـ/١٣١٨م: جامع التواريخ (تاريخ غازان خان)، ترجمة: فؤاد عبدالمعطي الصياد، الدار الثقافية للنشر، ط١، (مصر، ٢٠٠٠)، ص ٢٢٥؛ القزاز: الحياة السياسية في العراق، ص ٢٥٨.

(٢١) بياني، شيرين: المغول التركية الدينية والسياسية، ترجمة: سيف علي، المركز الاكاديمي للأبحاث، (بيروت، ٢٠١٣)، ص ٣٤٨.

(٢٢) القزاز: الحياة السياسية في العراق، ص ٢٥٨.

(٢٣) العاني: العراق في العهد الجلائري، ص ٣١٥.

(٢٤) العزاوي، عباس: تاريخ الضرائب العراقية (من صدر الاسلام الى آخر العهد العثماني)، شركة التجارة والطباعة، (بغداد، ١٩٥٨)، ص ٣٦٢٣٥.

(٢٥) العاني: العراق في العهد الجلائري، ص ٣١٥.

(٢٦) حلقها: من تاريخ المغول، ص ١١٢.

(٢٧) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص ٢٦٥.

(٢٨) اصفهان: وهي مدينة من نواحي الجبل في آخر الاقليم الرابع، طولها ست وثمانون درجة، وعرضها ست وثلاثون درجة، ومدينة اصبهان اسم مركب، بمعنى الاصب البلد بلسان الفرس، وهمان اسم فارس، فكأنه يقال بلاد الفرسان. ينظر: الحموي، ياقوت ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م: معجم البلدان، دار صادر، (بيروت، ٢٠١٠)، ج١، ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٢٩) خوزستان: وهو اسم لجميع بلاد الخوز، وهي من نواحي أهواز، بين فارس وواسط والبصرة وجبال اللوز المجاورة لأصبهان. للمزيد: ينظر: بن عبدالحق البغدادي، صفي الدين عبدالمؤمن ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م: مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٥٤)، ج٢١، ص ٤٩٠.

(٣٠) الصياد، فؤاد عبدالمعطي: الشرق الاسلامي في عهد الايلخانيين، منشورات دار الوثائق والدراسات الانسانية، (قطر، ١٩٨٧)، ص ٨٧.

(٣١) ابن العبري، غريغوريوس ابي الفرج ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م: تاريخ مختصر الدول، دار الرائد اللبناني، (لبنان، ١٩٨٣)، ص ٤٥٩؛ خصباك: العراق في عهد المغول الايلخانيين، ص ١١٢، ١١٣.

(٣٢) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٤٥٩؛ حلقها: من تاريخ المغول، ص ١١١.

(٣٣) حلقها: من تاريخ المغول، ص ١١١.

(٣٤) حلقها: من تاريخ المغول، ص ١١١.

(٣٥) مزبان، اسراء مهدي: الازمات الاقتصادية في العراق اثناء حكم المغول، بحث منشور، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، (واسط، د. ت)، ع ٢٧، ص ١٣٣.

(٣٦) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص ٢٨٠.

(٣٧) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص ٢٨٣؛ خصباك: العراق في عهد المغول الايلخانين، ص ١١٢.

(٣٨) خصباك: العراق في عهد المغول الايلخانين، ص ١١٢؛ القزاز: الحياة السياسية في العراق، ص ٢٦٢.

(٣٩) ديوان التركات: وهو الديوان المسؤول عن التركات التي لا وراث لها فتصبح ملكاً للدولة، وأول من تولاه ابو البدر بن حيدر المتوفي سنة (٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م). ينظر: نقيب، أحلام حسن مصطفى: سياسة الناصر لدين الله الداخلية، ٢٢٦-٥٧٥هـ/ ٨٤٠-١١٧٩م، دار الشؤون الثقافية العامة، (د. م، ٢٠٠٠)، ص ١٠٧.

(٤٠) القزاز: الحياة السياسية في العراق، ص ٢٦٣.

(٤١) تفليس: بلدة بارمينية الاولى، والبعض يقول بآران، وهي قصبة ناحية جرزان قرب باب الأبواب وهي مدينة قديمة أزلية. ينظر: الحموي: مجعم البلدان، مج٢، ص ٣٥.

(٤٢) القزاز: الحياة السياسية في العراق، ص ٢٦٣.

(٤٣) القزاز: الحياة السياسية في العراق، ص ٢٦٤.

(٤٤) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص ٢٨٠.

(٤٥) بايدون خان: هو ابن طرغاي بن هولاكو، تولى حكم المغول في بلاد ايران بعد أن اقضى على الايلخان كيخاتو، وقد اسرع كبار الامراء اليه، كما قصده النبلاء والخواتين وكان جلوسه على العرش في سنة (٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م). ينظر: ابو الفداء، كمال الدين اسماعيل ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م: المختصر في اخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، ط١، (د. م. د. ت)، ج٤، ص ٣٢.

(٤٦) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص ٣٢٨.

(٤٧) نوروز: وهو ابن آرغون آقا الذي كان يحكم كل من اقليم خراسان وسجستان والعراق واذربيجان من قبل المغول الذين يحكمون في منغوليا، وقد ظل يحكم هذه البلاد مدة ٣٩ عاماً، وكان من ابرز حكام المغول وأكثرهم نشاطاً في اصلاح حال الرعايا الايرانيين والتخفيف عنهم، وعندما قام هولاكو بحملته على ايران عام (٦٥١/ ١٢٥٣م) انضم ارغون اليه، وعاش الى أن ادركه الموت عام (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)، أما الابن نوروز فقد اعتنق الاسلام وصار مثلاً أعلى للمسلم الذي يجمع بين الشجاعة ونيل الخلق: الصياد: الشرق الاسلامي في عهد الايلخانين، ص ٢٤٨، هامش رقم ١.

(٤٨) خراسان: وهي بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق، قصبتها جوين وبيهق واخر حدودها مما يلي الهند وطخارستان وغزنة وسجستان وكرمان وليس ذلك منها انما هو اطراف حدودها، ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٢، ص ٣٥٠.

(٤٩) القزاز: الحياة السياسية في العراق، ص ٢٦٥.

(٥٠) العاني: العراق في العهد الجلائري، ص ٣١٥.

(٥١) الصائغ: تاريخ الموصل، ج١، ص ٢٤٨.

(٥٢) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص ٣٠٥؛ القزاز: الحياة السياسية في العراق، ص ٢٦٢.

(٥٣) خصباك: العراق في عهد المغول الايلخانين، ص ١١٤.

(٥٤) تومان: وهذا أكبر من البالش قيمة، وهو منتهي ما عرف عند المغول، وليس لديهم نقد لقيمته، ويراد به عندنا (البدرة) او الربوة، وقدره عشرة ألاف درهم، وشاع نقد باسم تومان في ايران من ذهب او من فضة او من نحاس، وفي لغة وصاف: اللفظة التركية وتعني عشرة الأف بصورة عامة او عشرة الأف دينار مثقال. ينظر: العزاوي، عباس: تاريخ النقود العراقية، شركة التجارة والطباعة، (بغداد، ١٩٨٥)، ص ٣٩، ٤٠.

(٥٥) القزاز: الحياة السياسية في العراق، ص ٢٦٣.

(٥٦) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص ٣٣٥، ٣٣٦؛ القزاز: الحياة السياسية في العراق، ص ٢٦٤.

(٥٧) القزاز: الحياة السياسية في العراق، ص ٢٦٤.

(٥٨) العاني: العراق في العهد الجلائري، ص ٣٢٠، ٣٢١.

(٥٩) خصباك: العراق في عهد المغول الايلخانين، ص ١١٤.

(٦٠) زامل بن علي: أحد امراء الشام من بني ربيعة، هو زامل بن علي بن حديثة وأخوه ابو بكر بن علي، واحمد بن حجي واولاده واخوته، وعيسى بن مهنى واولاده واخوته، وكلهم رؤساء أكابر وسادات العرب ووجوهها، ولهم عند السلاطين حرمة كبيرة وصيتٌ عظيم. ينظر: القلقشندي، ابن عباس أحمد ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م: صبح الاعشى، طبع بالمطابع الاميرية، (القاهرة، ١٩١٤م)، ج٤، ص ٢٠٣.

(٦١) القزاز: الحياة السياسية في العراق، ص ٢٦٦.

(٦٢) خصباك: العراق في عهد المغول الايلخانين، ص ١١٤.

(٦٣) القزاز: الحياة السياسية في العراق، ص ٢٦٨.

(٦٤) السيد، فؤاد صالح: مؤسس الدولة الاسلامية، مكتبة حسين العصرية، (بيروت، ٢٠١١)، ص ٥١٢-٥١٣.